تجربتي مع التعلم والتدريب الإلكتروني

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 23 أغسطس 2020

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

منذ أن بدأ فيروس كورونا يلوح في الأفق، ومنذ أن بدأت الدول تفكر في اتخاذ بعض الإجراءات الاحترازية وتفكر في أن تطبق حظر التجوال والتقليل من ممارسة الأنشطة بمختلف أنواعها، عندها بدأت فكرة التعليم والتعلم عن بُعد تلوح في الأفق.

كانت – وهذه تجربة شخصية – المحاولة الأولى لي بالتعليم والتدريب الإلكتروني مع واحدة من الجهات التي كنتُ قد اتفقت معها – سابقًا – على تقديم دورة لهم في القاعات الحقيقية في منتصف مارس 2020. إلا أن جائحة كورونا سبقتنا، لذلك وجدت الجهة المعنية أن تقديم البرنامج عن بُعد أفضل وذلك تنفيذًا لإجراءات الحظر، وكان السؤال المطروح الأهم، كيف يمكن تنفيذ هذه التجربة علمًا بأننا في مارس 2020 ولم تنتشر الفكرة بعد؟

استعنا بأحد الإخوة المتخصصين في تقنية المعلومات، وبالفعل تم تسهيل أمور الاتصال والتواصل عبر الشبكة، ولكن الموضوع هنا ليس الشبكة فقط وإنما كان الموضوع يختلف تمامًا، إذ إننا في القاعات الحقيقية نتواصل مباشرة مع المتدربين، فنستخدم لغة الجسم والقدرات

الصوتية ومخارج الحروف وما إلى ذلك من تنوع نحتاج إليه بصورة مباشرة في عمليات التدريب والتواصل البشري، بالإضافة إلى أننا نوزع الأنشطة فيقومون بتنفيذها، ثم نقيّم إنجاز النشاط، ومثل هذه الأمور التي تحتاج إلى التواصل المباشر مع المتدربين، وكذلك في القاعات الحقيقية نستخدم بالإضافة إلى العرض الإلكتروني باستخدام البوربوينت فإننا نستخدم السبورة وكل الأدوات الموجودة في القاعة، ففي بعض الأحيان نكتب على السبورة وأحيان أخرى نعمل بطريقة المجموعات، وأمور كثيرة، لذلك كان التحدي الأكبر الذي واجهنا – كمدربين – كيف يمكن تحويل هذه القاعات الافتراضية إلى قاعات شبه حقيقية ؟

فنحن هنا نتحدث عن دورة تدريبية وليس محاضرة

عمومًا، بطريقة أو بأخرى تم إنجاز الدورة التدريبية مع الجهة المعنية، وكان الرضا عاليًا عند الجهة وعند المتدربين، إلا أنني شعرت بأن الموضوع لم يكتمل في ذهني.

بعد ذلك بدأنا فعلاً بتقديم بعض الدورات والمحاضرات هنا وهناك عبر تطبيق (زووم) عن بُعد، سواء لبعض الجهات في البحرين أو خارجها، ولكن مازال السؤال المطروح لم يُحل في ذهني: كيف يمكن التدريب الإلكتروني عن بُعد ؟ ولكن بصورة عامة فإن هذه المرحلة التي امتدت حتى منتصف أبريل 2020 كانت تجربة جيدة وخبرة تراكمية حاولنا أن نستفيد منها لوضع

بعض الحلول لعمل دورة تدريبية متكاملة في عدة موضوعات عبر التدريب الإلكتروني.

وفي حوالي منتصف أبريل 2020، اتصل بي أخي وصديقي وأستاذي الدكتور أحمد البدري المدير العام للبورد العربي للاستشارات والتدريب والتنمية البشرية يستطلع رأيي في عمل برنامج تدريبي لمنح شهادة دبلوم اختصاصي مدرب في التعلم والتدريب الإلكتروني.

في الحقيقة إنها فكرة ليست جيدة فحسب بل إنها فكرة لامعة ومبتكرة، وهو منح المشاركين دبلوم مدرب في التعلم والتدريب الإلكتروني، فتحدثنا كثيراً وناقشنا البرنامج عدة مرات ومرات، ووجدنا أن الدورة لا يمكن إنجازها خلال سويعات قليلة، فالتعلم والتدريب الإلكتروني عالم كبير وزاخر بالكثير من المهارات والمعلومات، فهي تعتمد على التقنيات الحديثة، وهذه النوعية من التقنيات والعلوم والمعرفة تتطور كل يوم وكل ساعة، فكيف يمكن الإلمام بها كلها، وماذا يمكن تقديمه وما الذي لا يفضل تقديمه ؟

ومن جانب آخر، ما المحتوى العلمي الذي يمكن أن يُقدم بحيث يمكن تخريج مدربين في التعلم والتدريب الإلكتروني ؟ وكذلك فإن هذا المحتوى يجب تنفيذه من خلال منصات التعلم الإلكتروني.

كل هذه الأسئلة والعديد من الأسئلة الأخرى كانت في البداية هاجسًا وتخوفًا، ولكن كان الدكتور البدري عازمًا على تنفيذ البرنامج بطريقة أو بأخرى وخاصة أن الوطن العربي في هذه المرحلة يحتاج إلى هذا النوع من المدربين الذين يمكن أن يأخذوا على عاتقهم المضي قدمًا في سبيل تحقيق هذا النوع من التعليم والتدريب، حسنٌ مازال الموضوع قيد المناقشة.

وخلال تلك الفترة وضعنا برنامجنا العلمي لمحتوى الدورة على عدة موضوعات وعدة مستويات ذات علاقة، ولكن المهم في كل هذا الموضوع أننا تمكنا من تحويل المادة العلمية التي يمكن تقديمها في القاعات الحقيقية إلى قاعات افتراضية، إذ حاولنا أن نحقق الأنماط الثلاثة في العملية التعليمية، وهي: النمط البصري، والنمط السمعي والنمط الحسي، وكان من أصعبها النمط الحسي الذي يبنى على الحواس الخمس ومنها حواس اللمس والشم وما إلى ذلك، إذ وجدنا أنه من الممكن إدراج النمط الحسي في التعلم والتدريب الإلكتروني الذي عادة ما يتم عن بُعد وعبر الأسلاك والقنوات الافتراضية.

وعندما تم الإعلان عن البرنامج في حوالي أواخر أبريل 2020 فوجئنا بالكم الهائل من المسجلين في البرنامج على مستوى العالم العربي، من معظم الدول العربية، والغريب أن هذا الكم الكبير كان من ضمنهم أساتذة جامعات وأطباء ومستشارون ومدربون وخليط كبير من المثقفين

والمتعلمين الذين يريدون أن يكتسبوا هذه المهارة التي تُعد جديدة نوعًا ما في العالم العربي، وبالفعل بدأنا البرنامج، وبالنسبة لي كان إنجاز هذا المستوى من أكثر الإنجازات الرائعة والمهمة التي قمنا بها خلال السنوات الماضية.

تكرر هذا المستوى الأول حوالي 10 مرات، وذلك بسبب هذا التهافت الكبير على الدورة على مستوى الوطن العربي، وبالفعل أصبحت دورتنا – على الأقل دورتي أنا – أكثر احترافية وأكثر جودة، بسبب التجربة وتراكم التجربة والخبرة والمعلومات. ثم قدمنا المستوى الثاني واليوم نحن نستعد للمستوى الثالث من دورة إعداد مدرب للتعلم والتدريب الإلكتروني (أو المدرب الإلكتروني كما يحب الدكتور أحمد تسميتهم). وكذلك قمنا مع البورد العربي بإقامة أربع ندوات للتعلم والتدريب الإلكتروني وذلك من أجل التنظير وتأطير التعلم والتدريب الإلكتروني شارك فيها سواء كمتحدثين أو كحضور أعداد غفيرة من المعلمين والأساتذة من الوطن العربي وكان لمشاركتهم إثراء كبير في تأطير هذا الموضوع لذلك قررنا أن ندون ونوثق كل تلك الأطروحات في كتاب لنوثق هذا العلم وهذه المعرفة لكل الراغبين في الاستفادة منها.

ثم توالت الدورات التدريبية عبر منصة التعلم والتدريب الإلكتروني عن بُعد، وحتى اليوم أعتقد أني قدمت حوالي 40 دورة تدريبية وهذا الرقم من

غير المحاضرات واللقاءات التي نقدمها للإخوة والزملاء في الوطن العربي الكبير.

هذا الكم الكبير من الدورات التدريبية والمحاضرات واللقاءات نحسب أنها كانت بالنسبة لنا ذخيرة خبراتية وتراكمية جيدة في التعلم والتدريب الإلكتروني، يجعلنا يمكن أن نقول إنه إذا كنا نريد تطبيق وتنفيذ هذه النوعية من التعليم والتدريب علينا في بادئ الأمر أن نقوم بالأمور التالية:

1. **نُعيد بناء وتركيب المناهج لتناسب هذه المنصة، فلا يمكن أن نقوم بالتدريس عبر المنصة الإلكترونية والمناهج مازالت مكتوبة ومرسومة بحسب الأنظمة الورقية والسبورة وما إلى ذلك، فنحن اليوم نحتاج إلى إعادة صياغة المناهج من جديد.**
2. **عند إعادة صياغة المناهج الدراسية والتدريبية يجب على المختصين المكلفين في إعادة الصياغة أن تبنى كل تلك المعرفة على الأسس العلمية التربوية، مثل الفروق الفردية، الأنماط التعليمية الثلاثة، والمنهج التفاعلي الآني وما إلى ذلك، إذ إنه يجب ألا تهمل مثل هذه الأسس العلمية التربوية.**
3. **إعادة تقييم طرق التلاميذ والطلبة – أيًا كان مستواهم التعليمي – سواء قمنا بعمل التقييم بحسب الأنشطة والواجبات أم قمنا بعمل اختبارات تقييمية في نهاية كل فصل دراسي، وذلك من أجل ضمان الجودة والتأكد – كما وجدنا ذلك في التخوف الكبير على مستوى**

الوطن العربي – من عدم مشاركة الوالدين في حل الاختبارات والواجبات وما إلى ذلك بدلاً من الطلبة.

4. أنشطة المقرر أو الأنشطة التي تعطى في الدورات التدريبية يجب أن تعاد صياغتها كذلك، بحيث تتناسب مع هذه المنصة الإلكترونية، ومن ذلك الأنشطة العلمية، فلا نقول إن الأنشطة العلمية لا يمكن تنفيذها عبر المنصة الإلكترونية بل على العكس فهناك العديد من الوسائل والطرق يمكن ممارستها عبر هذه المنصة، ولكن كل الذي نحتاج إليه هو أن نفكر وأن نؤطر وننظر.
5. على الجهات التي تريد استخدام هذه المنصة الإلكترونية أن توفر مكتبة مكونة من الكتب، الأفلام، الأرشيف وكل المواد والأدوات العلمية وكل ما يحتاج إليه الطالب والمتدرب على مدار الساعة، فقد يحتاج إليها الطالب في أي وقت من النهار أو الليل، لذلك من الضروري أن تكون متوافرة لكي تسهم في إثراء المادة العلمية أو البحث العلمي أو المناهج، وما شابه ذلك.

عمومًا، هذه بعض الأمور التي نعتقد أنها مهمة، ومن الطبيعي أن هناك أمورًا أخرى أيضًا مهمة وتحتاج إلى إعادة النظر حال التفكير والتوجه إلى التعلم والتدريب الإلكتروني.

وفي الحقيقة فإن التدريب والتعلم الإلكتروني على الرغم من كل الصعوبات التي واجهتنا في البداية، فإننا بعد التغلب عليها وإعادة كتابة

وتنظيم حقائبنا التدريبية والتعليمية وجدنا أنها ممتعة وتجربة ثرية، فقد حاورنا من خلالها ودربنا وناقشنا على المستوى الوطن العربي وبكل المستويات نخبة من المفكرين والدارسين، فاكتشفنا أموراً وحقائق عن وطننا العربي الكبير لم نكن نعرفها من قبل، فنحن فعلاً كنا في فضاء افتراضي مفتوح.

عموماً، مازلنا نعطي دورات تدريبية عبر هذه المنصة الإلكترونية الرائعة الجمال، وسنستمر لأنها فعلاً أتاحت لنا مجالاً كبيراً للتفكير وإعادة التفكير بالإضافة إلى اللقاء بإخوة وأخوات على مستوى الوطن العربي أصحاب عقول فذة وراقية كانت محبوسة في الحدود الجغرافية المصطنعة، وها نحن نلتقي في الفضاء الافتراضي الواسع.